الفصل الثاني

مناهج أولي العزم في دعوتهم

● دعوة سيدنا نوح ومنهجه فيها

كان سيدنا نوح أول من دعا إلى التوحيد الذي هو أساس الأديان السماوية ، وكان أول من نهى عن الشرك بالله : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣).

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ (النساء:١١٦) .

لقد بعث الله نوحًا إلى قوم كانوا يصورون آباءهم وأجدادهم الصالحين في تماثيل تخليدًا لذكراهم ، ثم كانوا يعبدون هذه التماثيل من دون الله ، فبعث الله نوحًا لمحاربة هذه الوثنية ، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا وهو يحارب هذه الوثنية وحدها ، ليقلعها من جذورها ، وليغرس بدلها عبادة الله وحده في قلوبهم[1] .

ولم تَلْقَ دعوته من قومه سوى السخرية والإهانة وألوان العذاب ، ولكن سيدنا نوحًا لبث طوال هذه المدة يتحمل كل ذلك ، ليكون قدوة للرسل والدعاة الذين سيأتون من بعده .

فسيدنا نوح مثال حي خالد للصبر والتحمل ، وأسوة حسنة لكل من يحمل أمانة الدعوة إلى الله ، ونواة حية صالحة لغرس اليقين والعزم الرصين في سبيل بناء الإيمان وهدم الكفران ، ويتلخص منهجه في الدعائم الآتية :

أولاً : الإسرار بالدعوة أولاً ، ثم الجهر بها أخيرًا .

---

(١) أولي العزم من الرسل : للأستاذ محمد عبد الله السمان .

obeikandl.com

ثانيًا : عدم الاكتراث بسخرية الساخرين وهزء المستهزئين .

ثالثًا : استعمال اللطف والعطف لاستمالة المدعوين .

رابعًا : الجمع بين الدعوة والصناعة ، كما في صنع السفينة .

خامسًا : تذكير الناس بنعم الله وأيامه .

سادسًا : الدعوة على الكفار بعد اليأس منهم .

سابعًا : تحمل البلاء في انفصال الزوج والولد عن موكب الدعوة .

• ما يُستفاد من منهج سيدنا نوح

يُستفاد من دعوة سيدنا نوح ومن نتائجها ثلاثة أمور :

أولها : طول الصراع بين الحق والباطل ، والانتصار أخيرًا للحق على الباطل .

وثانيها : كون القيمة في الجودة ، لا في الكثرة .

وثالثها : جواز الدعوة على الكفار بعد اليأس من إيمانهم ، وإليكم البيان بالتفصيل :

• طول الصراع بين الحق والباطل

إن ما وقع بين سيدنا نوح وبين قومه من الصراع بين الحق والباطل كان امتدادًا لما وقع بين أبينا آدم وبين إبليس اللعين ، ولا يزال الصراع يستمر بينهما إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ثم إن أنصار الحق دائمًا قليلون ، وأنصار الباطل كثيرون ، وذلك إما لغموض الحق على أكثر الناس كما قال الشاعر :

غموض الحق حين تذب عنه ... يقلل ناصر الحق المحق

وأما إغواء الشيطان لبني آدم كما سبق أن قال : ﴿ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٦-١٧).

ولا يضر الحق قلة أنصاره ، فإن وزراء الدول والحكومات لا ينبغي أن يكونوا كثيرين ، ولا يمنع الدعوة إلى الله عدم استجابة عموم الناس لها من أيام سيدنا نوح ومن بعده من الأنبياء والمرسلين .

ولا يلهين الداعية كثرة الكافرين وقلة المؤمنين في قوم نوح وهود وصالح ولوط وإبراهيم وشعيب وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ولا يوهمن المسلم أن الله أرسل محمدًا رحمة للعالمين ، ولم يزل باقيًا في العالمين من لم يهتد بهديه ممن لم تبلغه دعوته ، أو بلغته ولم يؤمن بها ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (السجدة:١٣) . إن في عدم إيمان أكثر الناس حكمة بالغة في تقويم الجودة وتقديرها .

● **القيمة في الجودة لا في الكثرة**

قال تعالى : ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ﴾ (المائدة:١٠٠) .

والذهب لو كثر لما غلا ، والعيد لو عم الأيام لما حلا ، والبدر لو عم الليالي لما ازدهر ، تلك هي الحكم المنطوية في الآيات التي تقول : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف:١٨٧) .

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (العنكبوت:٦٣) .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (يوسف:٣٨) .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الرعد:١) .

﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴾ (الأعراف:١٧) .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ (الأنعام:١١١) .

﴿ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (الشعراء:١٥٨)

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴾ (الفرقان:٤٤)

﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴾ (الأعراف:١٠٢)

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾ (الزخرف:٧٨)

﴿ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ (المائدة:٥٩) .

● خروج الشقي من السعيد كالفضلة من الفضلات

ولو وقف الأمر عند حد القلة والكثرة ، ولم يتسرب إلى الخلطة ، لهان الخطب ، ولكن العناصر الخبيثة مع كثرتها استطاعت أن تتسلل إلى الصفوف الجيدة مع قلتها ، وانتسبت إليها ، وليست هي منها في شيء ، كما وجدنا امرأة نوح وابنه «كنعان» أو «يام» يعيشان مع سيدنا نوح ، وهما في زمرة الكفار الأشقياء .

ولقد وجدنا قبل ذلك آدم أبا البشر الذي خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وكلمه بوحيه ، وعلمه الأسماء كلها ، وأمر الملائكة بالسجود له ، ثم كان أول من يخرج من صلبه وهو «قابيل» كافرًا بالله ، عاصيًا لربه ، متمردًا على أمره ونهيه ، لم ينفعه لصوقه ولا انتسابه إلى أول نبي وأول سعيد .

فكان كمثل فضلة من فضلات الإنسان الطاهر ، تخرج منه هذه الفضلة ليرمي بها في المزابل والمهملات .

● جواز الدعاء على الكافرين

ويُستفاد من منهج سيدنا نوح جواز الدعاء على الكفار المعاندين يكون ذلك لحماية الدعوة والدعاة ليس لغرض شخصي وإنما يكون كالجهاد الدفاعي الذي يلجأ إليه الرسول بعد اليأس من الصبر .

ولقد دعا سيدنا نوح على قومه حيث لم يؤمر بالقتال فكان هذا الدعاء بمثابة قتال حيث قال : ﴿ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۝ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ (نوح:٢٦،٢٧).

ولم يَدْعُ نوح على قومه إلا بعد أن أرسل الله إليه ما يدل على نفي رجاء الإيمان من قومه وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (هود:٣٦) .

ولما جاء سيدنا موسى لم يجد بدًّا من أن ينهج منهج سلفه نوح في الدعاء على فرعون وملئه بعد يأسه منهم فقال : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴾ (يونس:٨٨).

وكذلك دعا سيدنا داود وعيسى على الذين كفروا من بني إسرائيل قال تعالى : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ (المائدة:٧٨،٧٩) .

وجاء سيدنا محمد ﷺ فدعا لطائفة من قومه بالهداية بعد أن آذوه وقال : «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون» .

كما أنه دعا على طائفة منهم حيث يئس من إيمانهم ، وفي البخاري أن النبي ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على قوم قنت بعد الركوع ، وجاء أن النبي ﷺ قنت بعد الركوع شهرًا يدعو على قاتلي القراء السبعين الذين أرسلهم النبي إلى بني سليم ليعلموهم الإسلام فغدروا بهم في الطريق وقتلوهم .

وقد جاء في السيرة أن النبي ﷺ دعا على قريش حين اشتد عليه أذاهم بقوله «اللهم عليك بقريش» ، ثم سمى فقال : «اللهم عليك بعمرو بن هشام وعتبة ابن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد» .

وقال عبد الله بن مسعود : فوالله لقد رأيتهم صرعى يوم بدر ثم سُحِبوا إلى القليب ـ قليب بدر ـ ثم قال رسول الله ﷺ : «واتبع أصحاب القليب لعنة» .

وروى الشيخان والترمذي أن قريشًا لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسنى يوسف ، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام ، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (الدخان:١٠،١١) . فأتى رسول الله ، فقيل : يا رسول الله استسق لمضر فإنها قد هلكت . قال : لمضر؟ إنك لجرأى ، فاستسقى لهم فسقوا ، فنزلت : ﴿ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ (الدخان:١٥) - فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ (الدخان:١٦) .

ودعا النبي ﷺ على كسرى حين مزق كتابه : أن يمزق الله ملكه ، فلم يبق منه بقية ، ولقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ : « الدعاء سلاح المؤمن » .

والمؤمن لا يجرد سلاحه إلا في حالة الدفاع عن نفسه ودينه ، والكي آخر الدواء .

● شخصية سيدنا إبراهيم ودعوته ومنهجه

لقد وصف الله سيدنا إبراهيم في القرآن بوصف جامع كامل لم يصف به غيره من الأنبياء الذين سبقوه والذين لحقوا به حيث قال : ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (النحل:١٢٠،١٢١) .

ثم وصفه الله في آية أخرى بالخلة في قوله : ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء:١٢٥) .

وكذلك نسب إليه الدين وسماه ملته بقوله : ﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٣٠ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (البقرة:١٣٠-١٣٢) .

● **أما دعوة سيدنا إبراهيم فتتلخص في ثلاثة أنواع انهمك فيها قومه**

الأول : عبادة الأصنام التي ورثها قومه من قوم نوح وعاد وثمود .

الثاني : عبادة الأجرام السماوية من شمس وقمر ونجوم ، وذلك من بدعهم .

الثالث : عبادة الملوك الذين ادعوا الربوبية ، وأولهم نمروذ بن كنعان .

فقد بعث الله إبراهيم لمحاربة هذه الأنواع الثلاثة من : الفساد ، والكفر ، والضلال .

● **أما منهجه في تطبيق الدعوة على نفسه فيتلخص في**

الفناء في سبيل الله بالتضحية والفداء ونكران الذات كما في قوله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (الشعراء:٧٥-٨٣) .

والاستسلام لأوامر الله تعالى ، كما في ذبح ولده الوحيد الذي وهبه الله على الكبر ، أو في سنن الفطرة ، وفي بناء البيت ، وفي إنزال أهله بواد غير ذي زرع عند هذا البيت المحرم ، وغير ذلك من البلاء المذكور في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة:١٢٤) .

لذلك كله قال تعالى للمؤمنين : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (الممتحنة:٤).

أما منهجه في الدعوة فيتلخص في استعمال الحجة والبرهان مع الأدب والوقار في دعوة الكبراء من الآباء والملوك والأقرباء .

أولاً : لقد أنكر سيدنا إبراهيم على أبيه أن يعبد الأصنام ولكن في أسلوب لبق كله عطف ولين ورحمة قال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ

صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾

(مريم:٤١-٤٥) .

ثانيًا : وأنكر سيدنا إبراهيم على قومه أن يعبدوا الكواكب السماوية في أسلوب حكيم ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾ (الأنعام:٧٥-٨٠) .

ثالثًا : أنكر على مدعي الربوبية وأفحمه بحجة دامغة حتى ألقمه الحجر كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة:٢٥٨) .

رابعًا : اهتم سيدنا إبراهيم بالأهل والأقارب :

ولما قال الله تعالى له : ﴿ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ لم يتأخر إبراهيم حتى قال : ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِى ﴾ قال ذلك ليكونوا سعداء معه .

ويتجلى اهتمامه بهم أيضًا في الدعاء لهم حيث قال : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (إبراهيم:٣٥-٣٧) .

﴿ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴾ (إبراهيم:٤٠) .

﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ (البقرة:١٢٨) .

وجاء القرآن يؤيد هذا المنهج بقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ (التحريم:٦) .

وقوله : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (طه:١٣٢) .

● **ما يستفاد من دعوة إبراهيم ومن منهجه**

أولاً : يجب أن نعرف أن الرئاسة والإمامة لا تُنَالُ بالتمني ولكن بالقيام بالتكاليف الشاقة كما قام بها إبراهيم حتى جعله الله للناس إمامًا قال شاعر :

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله لا تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ثانيًا : يجب على الداعية أن يطبق على نفسه ما يدعو إليه وأن يكون هواه تبعًا لما أنزل الله من الأحكام والشرائع في الأوامر والنواهي وأن يحمل تكاليف ربانية من غير ملل ولا ضجر .

فقد استسلم إبراهيم لأوامر مولاه ونواهيه وتحمل تكاليفه الشاقة حتى أثنى عليه مولاه وخالقه تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ (البقرة:١٢٤) .

وبقوله : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (البقرة: ١٣١).

ثالثًا : يجب على الداعية أن يغير المنكر باليد كلما سنحت له الفرصة بذلك إن كان لا يترتب من التغيير منكر أكبر .

فقد كسر النبي إبراهيم الأصنام بيده ثم علق الفأس على كبيرها وقال لهم حين سألوه : ﴿ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴾ (الأنبياء: ٦٢، ٦٣) .

وعلى هذا المنهج جاء الحديث النبوي الشريف : «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» .

رابعًا : يجب على الداعية أن يعتقد بضرورة الهجرة من ديار الكفر إلى ديار الإسلام لتمكين الدعوة من الانتشار ، فقد كان سيدنا إبراهيم أول من هاجر ومصداقه قوله تعالى : ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (العنكبوت: ٢٦) .

خامسًا : مما يُستفاد من منهج سيدنا إبراهيم ضرورة تطهير بيوت الله من رواسب الجاهلية ولوازب الوثنية ومن كل شرك قولي وعملي ومن كل بدعة وأصل ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (البقرة: ١٢٥) .

وقال أيضًا : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ (الحج: ٢٦) .

فالمساجد أمكنة للاعتكاف لذكر الله والصلاة ومدارسة العلوم الدينية كتلاوة القرآن والحديث وقواعد العلوم ، ليست المساجد لحديث الدنيا للخاص ولا للنوم ولا الاستجمام أو اللعب أو اللهو ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ (الجن: ١٨)[1].

---

(١) وليراجع الداعية في هذا الصدد كتاب « إصلاح المساجد من البدع والعوائد» للشيخ جمال الدين القاسمي . ونحو ذلك مما كتب في الموضوع .

سادسًا : يُستفاد من منهج سيدنا إبراهيم تعاون الدعاة بعضهم مع البعض فقد دافع إبراهيم عن ابن أخيه لوط أمام الملائكة كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ﴾ (العنكبوت: ٣١، ٣٢) .

وقال أيضًا : ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ (هود: ٧٤، ٧٥) .

وجاء في الكتاب المقدس : إن إبراهيم جاهد أهل مدينة سدوم لإنقاذ آل لوط كما سيأتي بيانه في الكلام عن الجهاد .

يؤخذ من ذلك ضرورة تعاون الدعاة مع بعضهم على البر والتقوى وعلى نشر الدعوة بخلاف ما يفعله الدعاة اليوم من التنافس على السمعة وعلى الشرف والمكانة فيحسد بعضهم بعضًا عند الملوك ورؤساء الدول على المناصب والمراتب .

● دعوة الأزهر إلى التنسيق بين الدعاة

ومن هنا دعا الأزهر إلى ضرورة التنسيق بين أعمال الدعاة ومنظمات الدعوة مع مراعاة الآداب والمحبة والولاء والاعتراف بفضل الغير وإيتاء كل ذي فضل فضله والثناء الجميل من اللاحقين للسابقين أفرادًا كانوا أو جماعات ، وفي ذلك ربط الحاضر بالماضي وإلحاق الفرع بالأصل والتنسيق إذا تجرد عن هذه الزوايا كان إخداجا وتفريقًا . لذلك يجب إزالة المعوقات عن طريق التنسيق لتسير الدعوة اتجاهًا واحدًا فالعالم اليوم يعمل بالتكتلات والتجمعات لمجابهة التحديات .

* * *

obeikandl.com